مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد 09 العدد 01 جانفي 2025 ص368/ 379

الهوية الوطنية و تجلياتها في شعر الثورة التحريرية – شعراء الجزائر نموذجا-

National identity and its appearance in the poetry of the liberation revolution -Algerian poets as a model-

د/خميس رضا*

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية/وهران؛ (الجزائر)

r.khemis@crasc.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/04 /23
تاريخ القبول:
2025/01/02

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الهوية
- ✓ الثورة التحريرية
- ✓ الإسلام
- ✓ العروبة

الملخص:

تمثل الهوية حقيقة الأمة وصفاتها الجوهرية، ونظرا لما تعرضت له الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي طيلة قرن ونصف من ممارسات لتشويه وتحريف لهذه الهوية إلا أن الشعب الجزائري ونخبه، ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقفت بالمرصاد لهذا المخطط الاستعماري الهادف لمسخ شخصية الإنسان الجزائري، لذلك تأتي مداخلتنا الموسومة: الهوية الوطنية وتجلياتها في شعر الثورة التحريرية-على اعتبار أن الشعر ديوان العرب الذي يستودعونه أسرار بعدهم الحضاري-، وإذا كان الأدب والشعر بصورة خاصة يقوم على تفعيل روح الأصالة والهوية الوطنية ومقاومة التحديات التي تحدق بالذات من خلال صراعها المستمر في منعطفات الزمن، فإن الشاعر الثوري الجزائري سعى إلى أن يعطي لهذا الصراع صورة يجسد من خلالها فكرة إثبات الذات وسط ما تعانيه من استلاب يهدد هويتها ويفقدها أصالة انتمائها الحضاري .هذا ما سنحاول الإجابة عنه في ورقتنا البحثية التي سنعتمد فيها المنهج الوصفي التحليلي .

Article info

Received
23/04/2024
Accepted
02/01/2025

Keywords:
- ✓ *identity Algeria*
- ✓ *liberation revolution*

Abstract :

Identity represents the reality of the nation and its essential attributes, and given what Algeria suffered under French colonialism during a century and a half of practices that distorted and distorted this identity, the Algerian people and its elites, including the Association of Algerians Muslim scholars, were on the lookout for this colonial stratagem to distort the Algerian human personality, which is why our intervention comes Tagged: National identity and its manifestations in the poetry of the liberation revolution - given that

* المؤلف المرسل

poetry is the diwan of the Arabs, to which they entrust with the secrets of their civilizational dimension -, and if literature and poetry in particular are based on the activation of the spirit of originality and national identity and on resisting the challenges that beset the self through his continuous struggle at the turning points of time, then The Algerian revolutionary poet sought to give this struggle an image through which he embodies the idea of affirmation of herself in the midst of what she suffers from alienation which threatens her identity and makes her lose the authenticity of her civilized belonging. memory, in which we will adopt the descriptive and analytical approach.

✓ *Islam*
✓ *Arabism*

مقدمة:

الهوية هي مجموع الشارات والسمات، والمميزات الخاصة بمجتمع ما من خلال علاقاته المتبادلة مع الآخرين حتى يعي كل فرد فيه أن له بطاقة تعريف منبثقة من هذا المجتمع الذي ينتمي إليه في إطار الكونية المتعددة. ثم إن إشكالية العلاقة بين الشعر العربي والهوية إشكالية قديمة جدا، وقد ارتبط الشعر العربي بتخليد حروب العرب و وقائعهم في الجاهلية والاسلام، والتي كانت تسمى "الأيام"، ومن ثم أصبح الشعر هوية معبرة عن سمات المجتمع وميزاته مرتبطة بوجدان الشاعر. لأنه يُحيل على إجابة مُتفرّدة تتعلق بخصائص الشعوب وطبيعة الفنون التي تتحكم في وجدانها الجمعي.

وقد مثل الشعر الجزائري قبل وأثناء الثورة التحريرية فضاء مهما للبحث والتساؤل حول العديد من القضايا المرتبطة بوجود الأمة الجزائرية من قبيل: الهوية، الالتزام، التحرر.. مؤسسين لانبثاق وعي جمعي ، كان بمثابة نقطة انطلاق واستمرار لثورة أعادت الحقوق إلى أصحابها.

ولذلك نجد في شعر الثورة التحريرية- فلسفة ترتكز على الحقيقة الكلية في الصراع بين الأنا الوطني النضالي الثوري الجزائري، والآخر أي المستعمر مولدة نوازع التعبير عن الهوية الوطنية في ملامح التحدي والصمود، ومعايشة صدام الشعب الجزائري مع الواقع الاستعماري المفروض والمرفوض في آن واحد. فالشعر بذلك عملية فكريّة تستنطق الوجدان وتعمل على إبراز القيَم الراسخة التي يستحيل الارتداد عنها كما أنه حافز ودافع يعتمد في بنائه على التوجه الجمعي.

ولذلك طرحنا السؤال التالي: كيف تمثل الشعراء الجزائريون أثناء الثورة التحريرية رؤيتهم لهويتهم في ظل الممارسات الاستعمارية المناوئة؟ وإلى ما استندوا من مرجعيات معبرة عن هذه الهوية وأبعادها في الزمان والمكان؟

وقد ارتأينا الإجابة عن هذا التساؤل من خلال تتبع تجليات الهوية الوطنية في شعر الثورة التحريرية عبر استنطاق نصوصه في سياقاتها المتعددة ووفقا لدلالات تلك النصوص الثاوية في بنيتها العميقة، والمتجلية في مضامينها الظاهرة والمضمرة. معتمدين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي الذي يثري قراءتنا للهوية في أبعادها الفكرية المستخلصة من جانب من تراثنا التحرري، وتتضح بذلك هذه الهوية مرتكزة على:

1. الإيمان بالقومية العربية والإسلامية:

من خلال مسيرة شعراء الفصيح الجزائريين أمثال:(أحمد الطيب معاش، أحمد سحنون، أبي اليقضان، محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الشبوكي، محمد العيد آل خليفة، محمد أبو القاسم خمار، مصطفى بن رحمون، عبد الكريم العقون، صالح خرفي، أبو القاسم سعد الله، الربيع بوشامة) تبين أنهم كانوا أعضاء عاملين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين آنذاك، ومنهم من تتلمذ على الإمام ابن باديس، مع استثناء الشاعر الجزائري الأصل عبد السلام الحبيب الذي عاش في سوريا ، والشاعر مفدي زكرياء الذي كان من المتعاطفين، و المعجبين بأعمال الجمعية التربوية والدينية والثقافية، كما أن مفدي زكرياء درس بجامع الزيتونة شأنه شأن العديد من أعضاء جمعية العلماء. وبما أن الشعر بناء يستمد ركائزه

من أبنية الثقافة التي ينتمي إليها الشاعر، فإن هوية شعر الثورة التحريرية يسير جله في فلك ومبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1931 كرد فعل على احتفالية فرنسا بمرور مئة عام على احتلالها الجزائر،وظنها أن هذه المدة الزمنية كافية لأن تبقى في الجزائر الى الأبد، وقد ساهمت جمعية العلماء برافدها الفكري-النضالي إلى جانب روافد فكرية من تيارات وطنية أخرى ممثلة في النخبة وحزب الشعب، والحزب الشيوعي الجزائري، حيث كان لكل منها موقفه الإيديولوجي المميز في رؤيته للأحداث التاريخية وتفسيرها في مسار النضال والثورة.

وقد عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما هو معلوم على تحديد الإطار والفضاء الذي تتموضع فيه نخبتها الشاعرة لتمارس بذلك سلطتها الأدبية عليهم وعلى إنتاجهم التوثيقي بالاستناد إلى ثوابت الهوية الوطنية الممثلة في اعتبار الجزائر أمة لها مرجعيتها التاريخية وبعدها الحضاري العربي-الإسلامي. وقد قالها الشيخ عبد الحميد بن باديس وسار على خطوها أبناء الجمعية:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
يانشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

ويعتبر ابن باديس رئيس جمعية العلماء من الذين أكثروا من الكتابة عن العروبة، وكانت كتاباته تعني أشياء كثيرة للجيل المعاصر له، بل ولجيل اليوم أيضا، وقد اعتبر العناية بالعرب حق على كل مسلم لارتباط تاريخهم بتاريخ الاسلام.

فكان لزاما على الشعراء إظهار كلمتهم في مجابهة المستعمر، وبوصف أسس الثورة التحريرية من خلال إثبات الهوية الوطنية واسترجاع السيادة ،و أضحت مبادئ جمعية العلماء المرتبطة بثوابت الأمة الجزائرية منبع محرك للعديد من القصائد الشعرية التي وقفت في وجه الاستعمار الفرنسي وحاربته متخذة من الدين واللغة درعا احتمت به لتحقيق هدفها، وهو الثورة ضد الاستعمار والدعوة إلى الحرية والاستقلال.

ومن هنا كان هؤلاء الشعراء يدافعون عن ثوابت الهوية الوطنية ويسعون إلى ترسيخها، ومحاربة ما من شأنه محو آثار هذه الهوية وطمسها. فسعوا إلى التغني بالعروبة والاعتزاز بهذا الانتماء الذي كان عن طريق الدين الاسلامي، وكان الاعتزاز بالعربية اعتزازا بالإسلام كذلك.

إن نماذج النخبة الشاعرة الجزائرية لشعر النضال والثورة الجزائرية 1962/1954 بخصوصيته العربية الفصيحة قد أضفى عليه طابع الأدب القومي-العربي بالنظر إلى الروح التي كتب بها، والحقائق التي عبر عنها، فضلا عن كون أحداثه الموثقة تجري في أرض عربية ارتبطت بالمقاومة والكفاح المسلح ضد الأجنبي الذي هو غير عربي، ليتأكد لنا أن هذا العمل الشعري مساهم إلى جانب تيارات وطنية أخرى في الالتزام بقضايا الشعب والالتحام بالحركة الوطنية في مسارها المحتوم. حيث نجد الاتجاه العروبي مرتسما في مسار هؤلاء الشعراء، ومنهم الشاعر صالح خباشة الذي درس بجامع الزيتونة بتونس (حبيب اللولب، 2009، صفحة 15)، وتخرج من كلية الآداب بجامعة بغداد. والشاعر عبد السلام الحبيب الجزائري المقيم بسوريا، والذي تتصل جذور والديه بمدينة معسكر الجزائرية، فقد هاجر جداه لأبيه وأمه مع الأمير عبد القادر إلى بلاد الشام، وقد اهتم بقضية الجزائر منذ حوادث الثامن ماي 1945. حيث الإحتكاك بالعروبة كتوجه إيديولوجي موجه للفكر، وربما كان يعتنق عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تنص مبادؤه الأساسية على أن النهضة السورية القومية الاجتماعية تستمد روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسيّ القومي. راسما لوحة للمشهد الحضاري منطلقا من الجزائر مركز الانبثاق الثوري و الاشعاع التحرري.

لقد قام هؤلاء الشعراء استجابة لحتمية تاريخية وإيديولوجية-اجتماعية وثقافية برفض واقع الشعب الجزائري من جراء الممارسات الاستعمارية الهادفة إلى محو شخصيته التاريخية، كما تجلى ذلك في آثار الربيع بوشامة والشيخ الشبوكي وأحمد

سحنون وغيرهم من ممثلي فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين أكدوا دعوتهم للتكاتف بين المسلمين في الجزائر، وتذكيرهم بماضيهم المجيد، وبالتالي إحياء الشخصية العربية الإسلامية، وبمعنى أشمل تكوين كيان جزائري قوامه الثقافة العربية الإسلامية كما يقول يوسف مناصرية في كتابه : "الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية". و تجسيد هذه الإيديولوجية في سياقاتها الاجتماعية والثقافية كما **في قصيدة "أبو القاسم سعد الله"** الموسومة "الجزائر تتكلم" ، حيث ارتبط نظمها بمناسبة تصريح رئيس وزراء فرنسا في 1956 بأن:« **الجزائر لا يمكن أن تكون دولة عربية ولا دولة إسلامية...** (سعد الله، صفحة 234) "، حيث يقول شاعرنا:

أقولها لفرنسا

جلية كالصباح

إني كمين جديد

لجيشك السفاح

إني بعثت إليك

على زئير الرياح

على نذير الفناء

على دوي السلاح

لقد عرفت طريقي

و لن يرد جماحي

فلست (للسين) أنتمي

و ليس (للألب) شان

أنا كيان عريق

قوميتي عربيه

على دوي السلاح

لقد عرفت طريقي

قوميتي عربيه

وشرعتي الإسلام(*)

و هكذا فإن الواقف على الإبداع الشّعريّ الجزائريّ لا يجد مشكلة في تحديد الهوية الوطنية لدى الشعراء، ممثلة في **القومية العربية والإسلام**، فهم يؤصلون للهوية التي صارتْ واضحة يهتدي اليها المتلقي دونما عناء، وبصراحة تامة لا مداراة فيها: أقولها لفرنسا، جلية كالصباح... **فلست (للسين) أنتمي، قوميتي عربيه، وشرعتي الإسلام. فهو** يجعل من الهويَّة مفهوماً موصولاً بالجغرافيا والدين، والتاريخ .

ولا شك أن للنزعة الدينية تأثير قوي على المتلقي وعلى مجريات الأحداث، ويتمثل الهدف منها في إبراز مدى ارتباط الشعراء بوطنهم ودينهم وقدرتهم على تجسيد ذلك في أشعارهم.كما نلمح ذلك أيضا في قصيدة "أبي اليقضان"، وهو من أعضاء جمعية العلماء، في قصيدته الموسومة "تطهير بيوت الله" ، حيث ارتبطت باحتفالية 5 نوفمبر 1962 بمناسبة إرجاع بعض الكنائس إلى مساجد .يقول "أبو اليقضان" (أبي اليقضان، 1989، صفحة 30):

الله أكبر يملأ الآذانا في مسمع الدنيا يسيل حنانا
كم مسجد فخر الجزائر-عزها زمنا يشع النور والإيمانا
فسطا عليه الدهر قرنا كاملا مع ثلثه أن يعبد الأوثانا
لكن رب الملك قيض من يشا فحباه ذاك العز والسلطانا

وبذلك مثل هذا الشعر وفق الرؤية التي تغذى عليها من فكر وفلسفة جمعية العلماء ليصبح أكبر قوة معنوية في الجزائر على حد تعبير الأستاذ ديسبارمي في كتابه"un reformateur contemporain en algerie ».

ويبرز البعد الحضاري في هذا الشعر أيضا في الحنين والبكاء على الماضي التاريخي الاسلامي العربي، والاعتزاز به في الآن ذاته في مواجهة أحداث الصراع مع المستعمر كجزء من الإيديولوجيا الثقافية المتبناة، كما في قصيدة "ذكريات المجد" للشاعر أحمد سحنون التي يقول فيها: (سحنون، 2007، صفحة 198):

يا ليوم أصبح العرب به بابن عبد الله في عز وطيد
هل رأى التاريخ في أبطاله مسعرا في الحرب مثل "ابن الوليد"؟
أم رأى مثل"ابن عوف"أو رأى كابن عفان" أخا فضل وجود؟
هل رأى مثل "أبي بكر" إذا ضلت الآراء ذا رأي سديد؟
أو رأى مثل "علي" مثلا للتقى والعلم والبأس الشديد؟
هل رأى مثل "صلاح الدين" في ساسة العالم أو مثل "الرشيد"؟
إنا أحفاد أبطال الورى إننا أبطال تاريخ مجيد؟
وإذا أرخى الكرى أجفانا "فالكرى يغمض أجفان الأسود"
غير أنا قد هجرنا نومنا!! ونهضنا للمعالي من جديد
كلنا حن إلى تحريره؟! كلنا هب لتحطيم القيود

فالشاعر هنا سعى إلى تمثل تلك المرجعيات التاريخية وذلك الانتماء العربي-الاسلامي في التعبير عن لحظته الراهنة وما تحمله من شعور ثوري في مواجهة المستعمر ،موظفا ما تختزنه ذاكرته من أمجاد تاريخية وعمق حضاري شكلت مجتمعة صورة لهوية الذات الجزائرية العربية، وهي تعيش مخاض الأحداث الثورية مرتبطه بـ: ابن عبد الله-صلى الله عليه وآله وسلم-،خالد بن الوليد-سيف الله المسلول،عبد الرحمان بن عوف،عثمان بن عفان،أبو بكر الصديق،على بن أبي طالب-كرم الله وجهه-، صلاح الدين الأيوبي-محرر بيت المقدس-، والخليفة هارون الرشيد الذي يمثل عهده أزهى عهود الحضارة الاسلامية.

والرجوع إلى الماضي هنا للاعتزاز به وتمجيده هو الذي أفرز توظيف هذه الأسماء الخالدات ذات الدلالات المرتبطة بالتاريخ الهوياتي المتبنى من طرف النخبة الشاعرة في الجزائر لسان حال الشعب الجزائري، والناطق باسمه، وباسم تاريخه وتطلعاته، والذي ينطوي على موقف أكثر وضوحا كما يرى جان بول سارتر (بول سارتر)، فكان استخدام هذه الرموز استخداما وظيفيا ناضجا وواعيا بتاريخ الأمة، وسيرورتها. وأدّى ذلك كله إلى بناء صرح القومية العربية، وتجييش الذاكرة القومية عند الجزائريين، التي أعادت لهم توازنهم

النفسي وكبرياءهم القومي اللازم لتحقيق الهوية الوطنية والوعي الذي تحقق بشكل فعلي وعملي في استمرارية الثورة التي لم تنتهي الا على أبواب الاستقلال.

ومما لاحظناه أيضا ما ورد في القصائد الشعرية المتعلقة بممارسات السجون والمعتقلات، حيث معايشة السجن تكثف التماسك بين السجناء، و تزيد من انسجام المواقف التي تستمد مرجعيتها من الفضاء الهوياتي الذي حددته جمعية العلماء كعنصر ائتلاف، والذي تحثهم فيه على الوفاء لشخصيتهم الإسلامية وتجنب تقليد الأجنبي مهما كانت الصعاب والتحديات، وذلك في مواجهة ما كانوا يعتبرونه مغالطات الأطروحة الاستعمارية. وكان الدافع للنظم بذلك هو الرجوع لأصل هذا التميز للهوية الوطنية، وأصل تلك البصمة التي جعلت من شعر الثورة انعكاسا لها.

وكما يقول عمار بلحسن في كتابه "الأدب والإيديولوجيا": " الأدب إنتاج إيديولوجي يتواجد في علاقة مع اللغة ومختلف أشكال استعمالها، فهو إنتاج لا يوجد إلا بالعلاقة مع الإيديولوجيا ومع التاريخ"، وتفسير ذلك ما لاحظناه في المدونة الثورية التحريرية ممثلة في الاحتفاليات الشعرية الإسلامية التي كان يحييها هؤلاء الشعراء - خريجي جمعية العلماء- في سجون الاستعمار ومعتقلاته.

وعلى سبيل المثال: الاحتفال بحلول شهر رمضان، كما في قصيدة "مناجاة هلال رمضان" لمحمد الشبوكي في معتقله بالضاية بوسوي سنة1959.يقول الشبوكي: (الشبوكي، 1996، صفحة 51):

هلال الصوم حيا بابتسام نفوسا مؤمنات صادقات
وعانقها بأضواء الأماني وبشرها بإشراق الحياة
وعطرها بريحـــان و آس وبادلها كؤوسا مترعات
ليهنك يا أخي نفحات فيض مضخمة بأنوار الصلاة

و أيضا كما في قصيدة "ذكريات المجد" لأحمد سحنون التي نظمها بمناسبة المولد النبوي بمعتقله بالضاية بوسوي سنة 1959، ويقول فيها: (سحنون، 2007، صفحة 197 و ما بعدها):

ذكريات المجد في الماضي المجيد مغرياتي كل يوم بنشيـــد
والمساعي الغر ينبوع النهى كم أمدتها بآيات الخلود!!
من له ماض كماضي العرب في صفحات المجد والصيت البعيد؟
كانت الدنيا ظلاما مطبقا ؟ طافحا بالشر و الظلم المبيد!
وإذا الكون تغشاه السنـــا مشرق الأنوار من ثغر وليـــد
وإذا ابن العرب طه قد أتى منقذا صرعى الهوى أسرى الجمود

وهكذا لم يكن الشعر بمنأى عن الأحداث التي تصل الماضي بالواقع الحاضر، وقيامه بدور كبير في إذكاء جذوة التحرر ، فهو لسان حال الأمة، يصور واقعها ويسجل هويتها بصدق وأمانة. وبهذا المعنى تغدو الهويَّة المرآة التي تنعكس فيها عناصر الذّات والتاريخ والحضارة والجغرافيا بفعالية مكوّنة ذاتاً تشعر بتميزها عمَّا يدور في فلكها وبالقرب منها، وفي مواجهتها.

ومن هنا كان الشعر تعبيرا حقيقيا عن مكنونات الذات إزاء ما تواجهه من أحداث وما تمر به من محن ومسارات متأزمة . و لنفس الإعتبارات ذات البعد الهووي يبرز الدين كمحرض أساسي على مقاومة الظلم الإستعماري، حيث العاطفة الدينية في صورتها الإنفعالية ركنا من أركان الهوية النضالية الثورية:، وميزة خاصة محركة لفلسفة التعبير من منطلق إيمان هؤلاء الشعراء بفكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و مبادئها.

وها هو الشاعر محمد الشبوكي حين أطلق سراحه من معتقل عين وسارة في شهر مارس 1962 و ألزم بالإقامة الجبرية بالعاصمة، وبالمثول يوميا أمام الجندرمة، يختار الإقامة بمركز جمعية العلماء بنهج بومبي رقم 12، ويوثق ذلك في قصيدته: "إقامتي الجبرية بالعاصمة"في مارس 1962،حيث يقول (الشبوكي، 1996، صفحة 128):

ذهبت للتعريف بالإقامة في مركز الإباء والشهامة[†]
فشرطوا الإدلاء بالشهادة طبقا لما في عرفهم والعادة
وأوجبوا فيها اعتراف (يحي):[‡] بأن هذا الشخص عندي يحيا

2. **مرجعيات الهوية في ذاكرة شعر الثورة التحريرية:**

تبرز ذاكرة شعر الثورة التحريرية الجزائرية: 1962/1954 محملة بقراءات شتى ونصوص متعددة، تشكل مرجعا للهوية الوطنية التي آمن بها الشعراء فأمدوا نصوصهم الشعرية بزخم وكثافة أكسبتها طابع الإنفرادية والتميز. وهذا يدفعنا إلى تحديد أهم المجالات التي شكلت ملامح مرجعيات ذاكرة هذه المدونة التي بدت لنا منحصرة في:

- الذاكرة القرآنية.
- الذاكرة الشعرية التضمينية.
- **ذاكرة الأحداث التاريخية العربية-الاسلامية.**

1.2 الذاكرة القرآنية:

التي تعد ثمرة تكوين هؤلاء الشعراء الديني حيث يبدو النص القرآني ذو اتصال وثيق بذاكرة الشعر الثوري-التحرري أكثر من كونه نزوعا إلى اختلاس، فذاكرة هؤلاء الشعراء الذين درسوا في الكتاتيب محملة بقراءات شتى و نصوص متعددة وثرية من القرآن الكريم، ولذلك عملت الذاكرة الدينية من خلال التناص القرآني على إثارة الكثير من الدلالات، ودفع السياق إلى اكتساب كثافة تاريخية-حضارية وثقافية سمحت بوضع المنظومة الشعرية على سكة مرجعية أرضية صلبة في مناخ الصراع المتأجج.

وقد استلهمت المدونة الشعرية مفرداتٍ وتعابير قرآنية تم مزجها في بنية الخطاب، لتمدّه بالأبعاد الرّوحيّة المرتجاة.

- ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في قصيدة "مأساة القصبة" للشاعر صالح خباشة التي نظمها سنة 1957 مستنكرا همجية الجرائم الإستعمارية إثر قيام المظليين الفرنسيين وأشياعهم بتحطيم كثير من أبنية حي (القصبة) الشهير بالعاصمة، وذلك في عهد الحاكم العام مجرم الحرب (روبير لاكوست)، حيث يقول (خباشة، 2007، صفحة 51):

لقد مكروا، ومكر الله أقسى فما حاقت بغير الماكرينا

- وفي ذلك استحضار للآية القرآنية: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"، و القصد الدلالي هنا نسف جدوى الهمجية الاستعمارية في القضاء على الثورة الجزائرية.
- وأيضا في " قصيدة : تطهير بيوت الله" التي نظمها أبي اليقضان بالقرارة بغرداية بمناسبة إرجاع بعض الكنائس إلى مساجد يوم 5 نوفمبر1962، حيث يقول (أبي اليقضان، 1989، الصفحات 30-31):

والملك يومئذ له و لحكمه أن ينصرن فيعبد الرحمانا
فغدا يردد قولة التوحيد في جنباته و ينكس الصلبانا
أين الذين تمسحوا عزا بها وحنوا لها بل قربوا القربانا

[†] مركز جمعية العلماء.
[‡] - يقصد مسؤول المركز.

أم أين آلهة مدى استعمارهم بحماه كم عبدوا لها الشيطانا
الله اكبر حق وعد الله بالنصر العزيز فحطم الطغيانا

فيه استحضار للآيات القرآنية: "الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا"، وأيضا:"وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"، والقصد الدلالي هنا تزكية فعل الجزائر المسلمة المستقلة بإرجاع الكنائس إلى مساجد، ونسف الجهود الإستعمارية في تمسيحها و تمسيخها.

2. 2 الذاكرة الشعرية التضمينية:

اتسعت ذاكرة التوثيق الشعري الثوري الجزائري لما هو موروث من النصوص الشعرية العربية القديمة والحديثة التي تعبر عن قوة الوشيجة في أواصر العلاقات الحوارية التضمينية بين النصوص العربية الفصيحة، وكذا عن التواصل القومي العربي بين الجزائر و شقيقاتها العربيات،و تعد هذه الذاكرة الشعرية ثمرة الإكتساب الثقافي الذي تلقاه هؤلاء الشعراء على يد مشايخهم وأساتذتهم في فترات الطفولة و الشباب سواء بمسقط رؤوسهم أو بمعهد ابن باديس بقسنطينة أو بجامع الزيتونة بتونس، ومصر والعراق من الأقطار العربية التي درسوا بها. وقد بدا هذا النزوع كما لو أنه ملك على هؤلاء الشعراء أحاسيسهم وصار جزءا من طريقتهم الخاصة في النظم متى تبين لهم أن المناخ الذي يسود الموروث المضمن هو نفسه السائد من استلهام الحدث التاريخي الموثق مما يثير مسائل نفسية وأيضا فكرية تدفع السياق إلى اكتساب كثافة تاريخية وحضارية قومية عربية معبرة عن اتجاه ايديولوجي يميز الأنا عن الآخر بخصوصية الإنتماء الذي يقرر وجهة نظر هؤلاء الشعراء تجاه الحدث التاريخي.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في قصيدة "زنزانة العذاب رقم 73" التي نظمها الشاعر مفدي زكرياء بسجن بربروس يوم 28 أفريل 1955 بعد تعذيبه وتسليمه للسجانين كما ذكر في مناسبة القصيدة، حيث يقول (زكرياء، 2007، صفحة 31):

سيذكرون، إذا الليل الرهيب سجى وجلجل الخطب،وأني في الدجى فلق
حسبي، وحسب أناسي،أن غدوت لهم عودا، يعطرهم، ذكرى وأحترق!!...

حيث يستلهم مفدي زكرياء وضع الشاعر العربي القديم أبي فراس في سجنه وهو في الأسر بيد الروم، حين يقول:

سَيَذكُرُني قَومي إِذا جَدَّ جِدُّهُم وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

والواقع أن التأثر بالشعر العربي القديم يتحول لدى بعض شعراء النخبة الجزائرية إلى اقتباس ملحوظ ، بل إلى سلخ واضح في بعض الأحيان، ومنه ما جاء في قصيدة "لبيك يا ثورة الشعب" التي نظمها الشيخ الشبوكي إثر معركة الجرف الشهيرة التي وقعت بولاية تبسة ما بين 22 و 29 سبتمبر سنة 1955، حيث يقول (الشبوكي، 1996، صفحة 78):

كفاك جهلا فرنسا إننا عرب لسنا نبيت على ضيم المغيرينا
فتلك أيامكم زالت ولا عجب من سره الدهر آنا ساءه حينا

حيث في البيت الثاني عودة إلى المنبع الذي اغترف منه الشاعر ثقافته و ترسب في ذاكرته الشعرية، إذ يستحضر في نظمه قول الشاعر العربي المغاربي" أبو البقاء الرندي" لما سقطت الأندلس، ورثاء الممالك الزائلة، حيث يقول:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

أما التأثر بالنصوص الشعرية العربية الحديثة الذي ميز التوثيق الشعري للنخبة فيعود إلى الإحتكاك بالثقافة العربية المشرقية آنذاك سواء كان إحتكاكا مباشرا عن طريق الدراسة أو غير مباشر عن طريق المجلات والجرائد المشرقية التي كانت تصل إلى الجزائر حينها، و يقبل عليها أبناء جمعية العلماء وطالبو العلم في معاهد هذه الجمعية.

ومن الأمثلة الدالة ما ورد في قصيدة: "حروفها حمراء" التي نظمها الشاعر مفدي زكرياء بالسجن بالزنزانة رقم 69 ، وهي جواب على لسان الشعب الجزائري لـ «غي مولي» رئيس حكومة فرنسا آنذاك حين دعا خداعا للإنتخابات في شتاء 1958، حيث يقول (زكرياء، 2007، صفحة 115):

إن جهلتم طريقه... فعليها لافتات... حروفها حمـراء !

اعـتـراف فـدولـة..فسلام... فكلام... فموعد... فجلاء...

يبرز التأثر التضميني واضح في هذا الشعر، حيث يحضرنا للتو قول الشاعر المصري "أحمد شوقي" في قصيدته الشهيرة ، لكن مع اختلاف في الموضوعة التي اتخذت من حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره نواة لها عند مفدي زكرياء، أما عند شوقي فيلخص في مسارها نظرية سيرورة الحب الإنساني فيقول:

نظـرةٌ, فـابتسـامةٌ, فسـلامٌ فكـلامٌ, فمـوعـدٌ, فلقـاءُ

3.2 ذاكرة الأحداث التاريخية العربية-الاسلامية:

فللأحداث التاريخية **العربية-الاسلامية** حضورها في المتن الشعري الثوري الجزائري ، والغرض من ذلك تثبيت الهمم وشحذ العزائم في مرحلة تاريخية تجد تجاوبها مع الحدث التاريخي.

حيث نجد مفدي زكرياء يستحضر في قصيدته "أنا ثائر" القصة التاريخية للمرأة العربية التي أسرها الروم زمن العباسيين ، وأرادوا إذلالها فقام ملكهم بلطمها على وجهها فصاحت في أسرها " وامعتصماه" مستنجدة بالخليفة العباسي"المعتصم" آنذاك الذي لبى نداء النخوة العربية-الاسلامية ،وقاد جيشه فحررها من الأسر وجعل ملك الروم الذي لطمها عبدا لها، كما خلد ذلك الشاعر العربي القديم "أبو تمام" في قصيدته المشهورة "فتح عمورية" التي مطلعها:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

حيث يقول مفدي زكرياء مستحضرا الحدث التاريخي (زكرياء، 2007، صفحة 111):

أنا ثائر

إن أمت : تحيا الجزائر...

ظلموني

واستباحوا الحراما

صحت : وامعتصما...

لطموني

وهذا الإسقاط التاريخي لا شك أنه يحمل بعدا هوياتيا ذا دلالات إيمانية بالنصر القريب على المحتل، فهو يحقّق حضور البطل الماضي في الحاضر بوعي أشدّ ممّا آل إليه هذا الماضي في حينه، فيعيد إنتاجه بما يتلاءم وروح العصر. كما نلاحظ أن إسقاطات التاريخ العربي-الاسلامي هنا تحمل نغمة التفاخر والاعتزاز المنبثقة عن إدانة الواقع المعيش.

3- الطابع التقريري – الحجاجي للهوية التحررية:

يميل الشعر الثوري الجزائري إلى اللغة التقريرية-الحجاجية في سياق تاريخي و ثقافي -اجتماعي مميز:حيث يستمد مادته متطلبات المرحلة التي فرضت على الشعراء أن يلتزموا بتسخير شعرهم للتعبير عن واقع وآمال وآلام شعبهم، وهذا جعلهم يميلون إلى استخدام لغة تقريرية-حجاجية بدافع الشعور بالتبعة الوطنية والفكرية عن كل كلمة ينظمونها، لأنهم ينظمون

إنطلاقا من مبادئهم المرتبطة بالهوية الوطنية التحررية التي ترعرعوا عليها زمن المقاومات الشعبية، وحركة النضال السياسي، وصولا الى الثورة التحريرية، ومن الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي لوطنهم المغتصب.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدة " **محمد الأخضر عبد القادر السائحي التي نظمها بتونس بتاريخ 21 فبراير 1956 بعد زيارة رئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي" للجزائر واستقباله بالرشق بالطماطم من طرف المستوطنين فيما يعرف "بيوم الطماطم" حيث عوض الجنرال كارتو بالسفاح وزير الجزائر** (عيش، 2017) و (بزيان، 2005) **:" روبير لاكوست الذي أصبح الحاكم العام للجزائر**. حيث يقول بلغة تقريرية حجاجية:

لا تقل إنني الوزير الخطير
فلدى الشعب لا يفيد الخطير
وإذا كنت في فرنسا حكيما
ينشد الحق وهو مر عسير
فحقوق الجزائر اليوم تبدو
كشعاع الى السلام يشير
أيها الوزير ،إن جئت للحق
فذا حقنا عليك أمير
وإذا هالتك الحقيقة فاحذر
من يرى الحلم واقعا مثل "لاكوست"
وينسى لما الشعوب تثور ؟
كل من في الجزائر اليوم أضحى
مؤمنا بالحياة وهو القدير
مؤمنا بالحياة دون فرنسا

فاعملي أنه الكفاح الأخير؟. (عبد القادر السائحي، 2007 ، صفحة 31 و ما بعدها)

إنَّ الحديث عن الهويَّة الجزائرية في هذا الخطاب لا يخلو من غايات سياسيَّة تحمل تحديا يسهم في إذكاء الصّراع في مخاطبة الآخر ،وهو المستعمر : لا تقل إنني الوزير الخطير، فلدى الشعب لا يفيد الخطير. أو الحديث باسم الشعب الجزائري: كل من في الجزائر اليوم أضحى مؤمنا بالحياة وهو القدير، مؤمنا بالحياة دون فرنسا. وهو شعب قدره الانفتاح على الآخرين: فحقوق الجزائر اليوم تبدو كشعاع الى السلام يشير.

و قد جاء هذا التعبير في تقريرية حجاجية ببعد هوياتي تحرري، فعبر الشعراء باسم الشعب الجزائري عن خاصية الإنتماء للثورة و الأمة و الوطن كنموذج وفاعل حقيقي في الوجدان الشاعري منح النظم طعمه الخاص. فالشاعر هو الثورة وهو جيش التحرير الذي يخاطب الإحتلال وممارساته اللاإنسانية (الشيخ، 2002)، وهو أيضا الضمير الذي يوجه الشعب ويتوحد معه، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدة ": لبيك يا ثورة الشعب" التي نظمها الشاعر الشبوكي إثر معركة الجرف الشهيرة التي وقعت بولاية تبسة ما بين 22 و 29 سبتمبر سنة 1955 بقيادة بشير شيحاني وعباس لغرور وعاجل عجول، وذلك تدعيما لهجومات الشمال القسنطيني (20 أوت 1955) ،حيث يقول:

سلوا الفرنسيس عنا يوم نكبتهم في الجرف كيف حصدنا منهم ما شينا
وكيف فرت بقاياهم مهشمة وقد أذيقوا من البلوى أفانينا

يا وقعة (الجرف) يا تاريخ ملحمة كانت لثورتنا نصرا وتمكينا
إنا نحيي رجالا فيك قد صمدوا وحققوا النصر أبطالا ميامينا (الشبوكي، 1996، صفحة 56)

فهو يخاطب الفرنسيين ويتوحد بالشعب من خلال ضمير التكلم الجمعي:عنا، حصدنا، لثورتنا ، وبين هذا وذاك يصف ويفتخر بالنصر على فلول المستعمر الفرنسي.

ومن الأمثلة أيضا ما جاء في قصيدة " تبسة الصامدة" التي نظمها الشاعر محمد الشبوكي بمعتقله بالجرف تنديدا بجريمة حرق الجيش الفرنسي لسوق مدينة تبسة في 4 مارس 1956،حيث يقول (الشبوكي، 1996، صفحة 20):

يقتل الأبرياء أنى رآهم مثل (نيرون) في العتو و قيصر؟
ذاك جيش قد فر من حرب فيتنا م أتانا هنا لكي يتعنتر
وفلول قد شردتها "ديان فو" فانتحت نحونا لكي تتسيطر

ففي هذه الأبيات يعيدنا الشاعر إلى زمن الرومان القديم حيث الطاغية "نيرون" يحرق روما و يخربها كما فعل خلفاؤه الفرنسيون في العصر الحديث بالجزائر حين أحرقوا سوق مدينة تبسة، وكأن التاريخ يعيد نفسه في هذه البلاد التي تحترق بممارسات الطغيان القديم-الجديد.

ثم يستحضر الشاعر حدثا معاصرا متمثلا في معركة " ديان بيان فو " المعاصرة التي انهزم فيها الجيش الفرنسي أمام الفيتناميين ،و كأنه يتنبأ لهؤلاء الفرنسيين بمصير مشابه أمام جيش التحرير الجزائري بفعل طغيانهم و عجرفتهم وغرورهم بما يؤشّر على امتلاك الشّعراء لخلفيّة ثقافيّة و تاريخيّة تتيح لهم جعل خطابهم جسرا للتّواصل مع الغابر من الحضارات والثّقافات، وجعله وسيلة للمقارنة والرّبط بين الحاضر والماضي بما ينبئ بالمستقبل ويستشرف آفاقه.

وهذا الوعي بالسيرورة التاريخية جعل مرجعية المدونة مرتبطة بهوية جمعية تحررية: أتانا هنا، بسياقات تاريخية-اجتماعية التقطت حدثا: حرب فيتنام ، و وقيعة: **"ديان فو"** ، و إسما من التاريخ: نيرون.

الخاتمة:

لقد واكب الشعر الثورة التحريرية، والتحم بها فاتخذ منه الشعراء وسيلة وسلاحا ضد المستعمر الفرنسي، والتعبير عن أحداث وطنهم متمسكين بهوية وفق رؤية شعرية متميزة تميز شعراء الجزائر في رفضهم للاستعمار.

ولقد شغلت قضية الهوية الوطنية ، وما انطوت عليه من حديث عن الأنا والآخر مساحة كبيرة في شعر الثورة التحريرية الجزائرية في خضم الصراع مع الاستعمار، والسعي للتعبير عن الانتماء الوجودي وما يحقق تميزه وخصوصياته الثقافية . كما أن تجليات موضوع الهوية يؤكد مكانتها في جغرافيا الثقافة والقيم الانسانية.

لذلك عبرت تجليات هذا الشعر الثوري عن الهوية الوطنية بأبعاد تحررية ، بمعنى قد مثلت السياق التاريخي من منظور ارتباطه بهوية ثوابت الشعب التي هي غير ثوابت المستعمر، وبمرجعية حضارية-اجتماعية ذات خصوصية تنافي خصوصية المحتل ، وجعلت بذلك علاقة النص والسياق ممكنة كما يقول كوزنز هوي ديفيد.

ولقد عكس الشعر في الحقبة المدروسة أربعة تجليات رئيسية للوعي بالهوية الوطنية ممثلة في:

-تصوير واقع الجزائريين في صراعهم بين الوجود واللاوجود.

-بيان أهمية اللغة العربية في سيرورة التحرر الوطني، وتوحيد العرب –وذلك من خلال نظمهم باللغة العربية الفصيحة-.

-الاعتزاز بماضي العرب المجيد وتأكيد دورهم التاريخي المرتبط بالإسلام.

-استنهاض الهمم والدعوة إلى الثورة وبناء الدولة مستقلة بأبعاد قومية عربية واسلامية.

ولذلك برزت الهوية الجزائرية متجلية في نظم النخبة الشاعرة في *بعدها الوطني والتاريخي، والديني والجغرافي*،والحضاري. وهو ما أكدت عليه مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المرتبطة بالعروبة والإسلام وامتداداتهما الجغرافية والحضارية، وقد كان هذا جليا فيما رصدناه من تشبع بالقومية العربية الاسلامية، والطابع التقريري الحجاجي المستمد من

الواقع البيئي التحرري الجزائري الذي لم يخل هو الآخر من نزعة عربية-اسلامية ، وأيضا في مرجعيات الشعر المرتبط بالذاكرة القرآنية –دينيا-، والذاكرة الشعرية التضمينية-تراثيا وعربيا-، وذاكرة الأحداث التاريخية القديمة والمعاصرة-حضاريا-. و اعتبار هذه المذكورات من الأدوات الأساسية في رسم معالم هوية وجودنا وترابطه مع تراثنا الأدبي والثقافي ،والتي أوصلتنا عن طريق المنهج الوصفي التحليلي إلى استنتاجات علمية دقيقة أغنتنا عن التسليم المباشر بما يروج من طرف الدوائر الاستعمارية من دعايات مسمومة ومناورات دنيئة ومزيفة تهدف لمسخ هويتنا الوطنية. والتي تشكل عناصرها: الاسلام،اللغة العربية، والعروبة جزءا جوهريا لا يتجزأ من مشروعنا في اتجاه المستقبل، معبرة عن حالة التوحد والانصهار التي جمعت هذا الشعب في ذات وحدوية-حضارية مرتبطة بمركزية كونية ، مثلت عبر مراحلها التاريخية عمقا فكريا لهوية لها خصوصية الانتماء والتميز، وكاقتراح لم لا إدماج هذه المعطيات التراثية في البرامج التربوية والتكوينية كدلائل نموذجية في مسارات كفاح الشعب الجزائري بما يخدم قضاياه النضالية-التحررية والتاريخية.

قائمة المصادر و المراجع:

- أبو القاسم سعد الله. *ديوان سعد الله: الزمن الأخضر*. الجزائر: عالم المعرفة.
- أبي اليقضان أبي اليقضان. (1989). *ديوان أبي اليقضان* (الجزء 2). غرداية: نشر جمعية التراث.
- أحمد سحنون. (2007). *ديوان الشيخ أحمد سحنون* (الديوان الأول). الجزائر: منشورات الحبر.
- جان بول سارتر. *عارنا في الجزائر*. الدار القومية للطباعة و النشر.
- حسن حبيب اللولب. (2009). *التونسيون والثورة الجزائرية* . الجزائر: دار السبيل.
- سعدي بزيان. (2005). *جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس*. الجزائر: دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع.
- سليمان الشيخ. (2002). الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة المسلحة. *منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال* . (محمد حافظ الجمالي، المترجمون) وزارة المجاهدين.
- صالح خباشة. (2007). الروابي الحمر. *منشورات أرتيستيك* ، القبة.
- علجية عيش. (2017). *النوفمبريون يطيحون بجنرالات فرنسا، ديغول ينهزم في الجزائر*. دار نشر الأوطان للنشر و التوزيع و الترجمة.
- محمد الأخضر عبد القادر السائحي. (2007). الأعمال الشعرية الكاملة. *منشورات السائحي ، المجلد الثاني (بكاء بلا دموع) (ط1)* ، الجزائر.
- محمد الشبوكي. (1996). *ديوان الشيخ الشبوكي*. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
- مفدي زكرياء. (2007). *اللهب المقدس*. الرغاية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.